الممدانية.. غزوة نيويورك

الخميس 6 نوفمبر 2025 01:00 م

كتب: ياسر أبو هلالة

ياسر أبو هلالة

كاتب وصحفي، المدير الأسبق لقناة الجزيرة

لا زلتُ أذكر الليلـة التي وصـلت فيها إلى مدينـة نيويورك ليلا. لمعت من شـبّاك الطائرة، جزيرة من نور. تـذكّرت مقولة رمزي يوسف لضابط المخابرات الأميركيـة (سـي آي إيه) الـذي قال له عندما رأى هذا المشـهد: أنظر لا يزال منتصـبًا... وكن يقصد برج مركز التجارة العالمية الذي فشل في تدميره عام 1993، فردّ عليه: ما كان كذلك لو كنتُ أملك مالًا أكثر ورجالًا أكثر... .

وعندما زرتُ نيويورك بعدها بعشر سنوات، كانت طموحات رمزي يوسف قد تحقّقت، مع الأسف، على يد ابن أخته خالد الشيخ، في ما عُرفت بغزوة نيويورك في "11 سبتمبر" (2001). ردّد أيمن الظواهري، في خطـاب تبنّي الغزوة، السؤال الأـميركي: "لماذا يكرهوننا؟". وبعـد أكثر من عقـدين من التفجيرات، ينتخب الأميركيون بشـكل غير مسـبوق زهران ممـداني عمـدةً لبلـديتهم، وهي أغنى بلدية في العالم، تضم أكبر جالية يهودية خارج دولة الاحتلال. بعيدًا عن التفاصيل والأرقام غير المسبوقة منذ 1969نسأل: لماذا يحبّوننا؟ وكيف غزا مهاجرٌ حفيد مهاجريْن قلوب مدينـة المهاجرين؟ حتى الناخبين اليهود أعطوه، بحسب اسـتطلاعCNN ، في سـباق رئاسـة بلديـة نيويورك، حصل منافسه أندرو كومو على أصوات 63% منهـم، وممـدني على 33%، أي ثلثهم. كـان النـاخبون الـذين حسـموا الانتخابـات الرئيسـية يوم الثلاثـاء أكثر اهتمامًـا بالاقتصاد والوظائف وتكاليف المعيشة. هذا وفقًا لاسـتطلاع رأي الناخبين لوكالة أسوشيتد برس، وهو استطلاع موسّع شمل أكثر من 17 ألف ناخب في نيوجيرسـي وفيرجينيا وكاليفورنيا ومدينة نيويورك، وهي، ولو سـلّمت قيادها لاشتراكي، عاصمة الرأسمالية في العالم، إذ وصل الناتج المحلي الإجمالي لها لعام 2024 نحو 2.297 تريليون دولار!.

وعلى أهميـة العوامل التي أدّت إلى فوزه، وهي بالدرجـة الأولى اقتصادية، فباختصار، انتصار المسـتأجر على المالك، إلا أن العامل السياسـي ظلّ حاسـمًا. وقد أعادت قناة اليمين الصهيوني، فوكس، بعد فوزه نشر تصريحاته التي يهدد فيها باعتقال نتنياهو ومحاكمته في حال وصل إلى نيويورك. وقبل فوزه، نشرت "نيويورك تايمز" تقريرًا عن علاقته بالسياسي البريطاني العريق في معاداته الصهيونية، جيرمي كوربن، وبقدر ما يفرحنا هذا، فإنه بدأ يُستخدم لمحاربته وشيطنته.

هاجر أهله من الهند إلى إفريقيا قبله، والده مثقف معروف بمواقفه المعادية للاسـتعمار، انتخب الأميركيون مسـلمًا ولا ينكر إسلامه. قال في خطاب النصـر "أنا مسـلم. أنا اشتراكي ديمقراطي. والأكثر إدانـة من ذلك كله، أنني أرفض الاعتـذار عن أي من هذا". وأضاف "بعد الآن، مدينة يمكنك فيها المتاجرة بكراهية الإسـلام والفوز في الانتخابات. سـيتم تعريف هذا العصـر الجديد بالكفاءة والرحمة اللتين وُضـعتا في تعارض مع بعضهما بعضهما فترة طويلة جدًا."

لقـد نجـح الفتى في غزو القلوب، والانتمـاء لمدينـة المهـاجرين، لاـ تـدميرها. واعتبر محللون فوزه هديـة قبل انتخابات التجديـد النصـفي العام المقبل، حيث من المرجّـح تصوير عمـدة المدينـة الاشتراكي في صورة كاريكاتوريـة لليسار التقـدمي المتطرّف، لتخويف الناخبين المعتـدلين والمتردّدين وإبعادهم عن مرشّحي الحزب الديمقراطي. ...

في الحملـة الانتخابيـة، اتهمه الـديمقراطي (المسـتقل) كوومو والجمهوري كورتس سـليوا بإذكـاء نيران معـاداة السامية. وتعرض الاشتراكي زهران ممداني لانتقادات شديدة لرفضه إدانة عبارة "عولمة الانتفاضة"، وقد اعترف بحقّ إسـرائيل في الوجود، ولكن ليس دولة يهودية، وكان قـد تعهـد في وقت سـابق باعتقال رئيس الوزراء الإسـرائيلي، نتنياهو إذا وطأت قـدماه نيويورك. ووقّع أكثر من 1100 حاخـام في جميع أنحاء الولايات المتحدة على رسالة تتهمه بتفاقم "العداء تجاه اليهودية واليهود". وفي هذه الأثناء، وصـفته ممثلة الحزب الجمهوري في نيويورك، إليز ستيفانيك، بأنه "مرشّح جهادي.!"

وفي الواقع، ممـداني، جهـادي بـالمعنى الإيجـابي، مناضـل سـليل مناضـلين، نتـاج ثقافـة شديـدة التنوع والتعقيـد، والـده مثقف يسـاري معادٍ للاسـتعمار، وفي إهـداء كتـابه "لاـ مسـتوطن ولاـ مواطن ... صـنع أقليات دائمـة وتفكيكها"، كأن الأب يرسم عام 2020 مشـهد فوز ابنه: "إلى زهران... لقد علمتنا كيف تشـتبك بالعالم في أوقات عصـيبة. ... لعلك تلهم الكثير وتنير المسير. ... إنه مثل درب في الأرض – لا يوجد بالبداية، ولكنه يصبح موجودًا. ... عندما يسلك الكثير من الناس الطريق نفسه". وبحسب الكاتب لو هسون، لم تكن نيويورك موجودة، المهاجرون الذين طرقوا دربها صـنعوا طريقًا، ومنهم زهران ووالـده محمود ممـداني. وفي الكتاب الـذي ترجمه الباحث عبيدة عامر غضـبان، ونشـرته الشـبكة العربية للأبحاث والنشـر بالعربية، ينطلق محمود ممداني من فرضيةٍ جوهرية مفادها أنّ "الاستعمار" و"القومية" ليسا ظاهرتين منفصلتين، بل "ولدتا معًا" في سـياق الحداثة السياسـية. من ثمّ، يرى أن الدولة القومية والجماعات التي تُعرّف أنها "أقلّية" أو "اليوم الآخر" ما هي إلا نتاجان متلازمان: الدولة تسعى إلى توحيد الداخل تحت هوية كبرى، ما يثير نشوء "أقليات دائمة" في صورة المناضل.

بعـد الفوز، كتب أحمـد الأخرس، وهو أميركي عربي مسـلم، عن ممـداني "لم يساوم. لم يُلطّف خطابه. لم يغيّر لغته تبعًا للجمهور. لم يتراجع عن موقفه الواضـح والحازم ضـد الحرب الإباديـة المسـتمرة على غزّة، رغم المناخ السياسـي الـذي كان أي مسـتشار "جاد" فيه سـيعتبر هذا

الموقف انتحارًا سياسيًا. وهذا فعلًا ما اعتقدته معظم القوى النافذة في البيئة السياسية الأميركية.

اصطفّ التيار الديمقراطي المؤسّسي ضده، وكذلك الآلات الجمهورية". موضحا "نادرٌ أن نرى في التاريخ السياسي الأميركي الحديث لحظة توافقت فيها كل أطياف القوة، اليسار واليمين والمركز والشركات والإعلام التقليدي، على هدف واحد: منع زهران ممداني". ولم تنتصر الممدانية على الترامبية فقط، انتصرت على اللوبي الصهيوني بكل امتداداته الاقتصادية الثقافية والسياسية والإعلامية. لقد بلغ الأمر في صحيفة واشنطن بوست ان تكتب افتتاحية قبل الانتخابات بأيام، تدعو سكّان نيويورك إلى "التصويت للفاسد: فهذا مهم". اعتقدوا أن إحياء المنطق الأخلاقي وراء شعار انتخابات لويزيانا القديمة "صوّت للمجرم"، سيحوّل كومو إلى "شرّ لا بد منه"، في صحيفة شعارها "الديموقراطية لا تعيش في الظلام."

لقد انتصرت الممدانية على ثقافة الكراهية، بما فيها الكراهية "الإسلامية". علينا أن نعترف أن ثقافة الكراهية ليست فقط من الآخر، فالذين نفّذوا تفجيرات نيويورك سواء عام 1993 أو عام 2001 كانوا مشبعين بثقافة الكراهية. وهي ليست موروثة جينيًّا، بقدر ما هي مكتسبة بفعل عوامل سياسية وثقافية، إذ تعود كراهية أميركا إلى عامل سياسي أساسي، وهو دعمها العدوان الإسرائيلي، وهي مسألة قابلة للتغيير وبشكل متبادل. كما حصل أمس. وهو ما يدفعنا إلى أن نسأل السؤال الكبير: لماذا يحبّوننا؟

أبراج نيويورك يعمّرها مهاجرون ويسكنها ويملكها مهاجرون، المطلوب إشاعة ثقافة التعمير لا التدمير، والمواطنة والجدارة والتميّز، لا التمييز، وانتخابات نيويورك أشاعت ذلك، بقدر ما استفزّت الكارهين.

تقارير

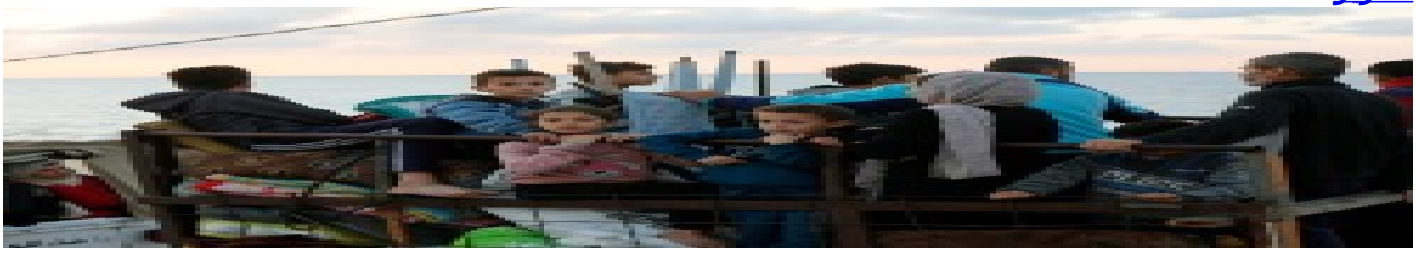

الأونروا: الضفة الغربية على أعتاب أسوأ أزمة نزوح منذ 1967

الأحد 28 سبتمبر 2025 12:31 م

تقارير

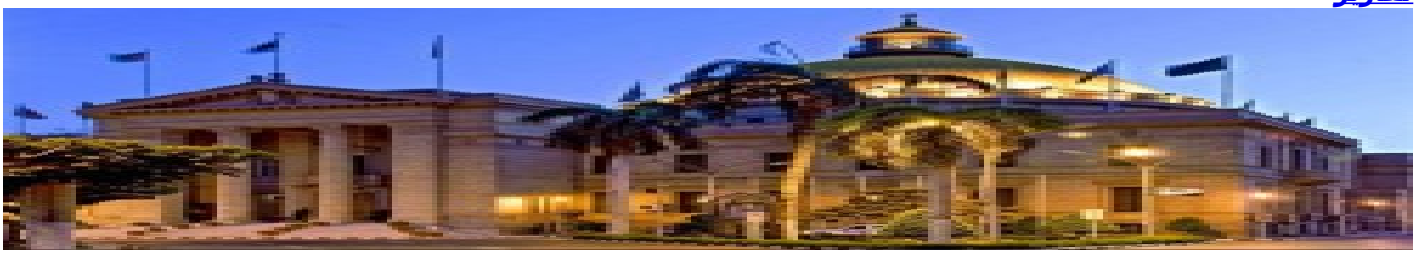

فضيحة أكاديمية تهز جامعة القاهرة.. بحث تطبيل لخطابات وهمية للسيسي!... تفاصيل ما حصل!

الخميس 10 يوليو 2025 08:00 م

مقالات متعلقة

لماذا قرّر ترامب وقف الحرب الآن في غزة؟

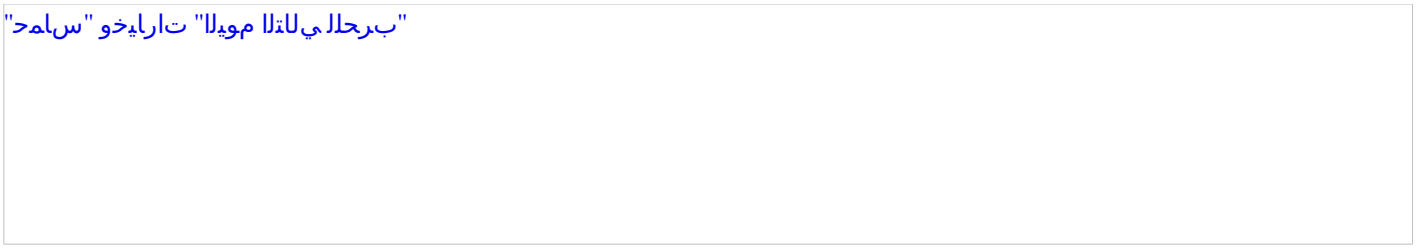

"حماس" وخيارات "اليوم التالي للحرب"

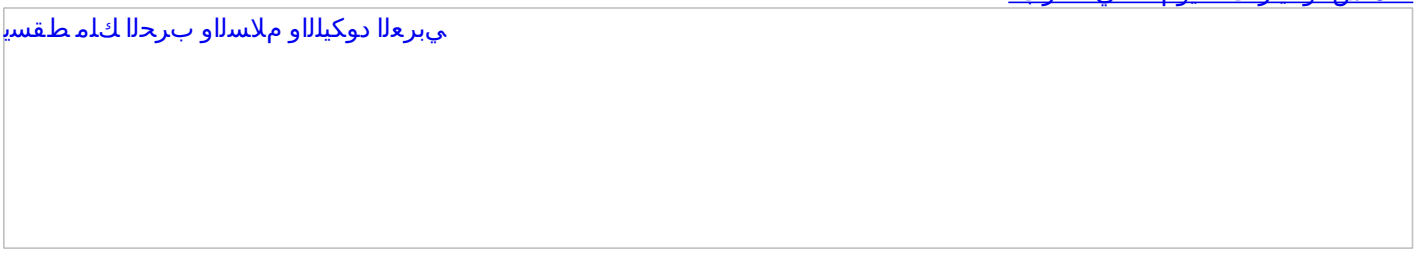

يسقط ملك الحرب والسلام والليكود العربي

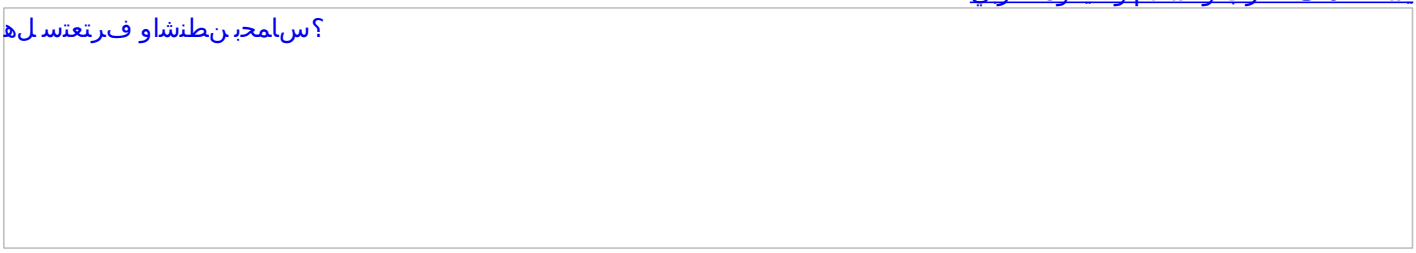

هل ستعترف واشنطن بحماس؟

أدخل بريدك الإلكتروني
إشترك

جميع الحقوق محفوظة لموقع نافذة مصر © 2025